

الجنّازة لرجل

رواية

سليمان العليمات

حقوق التأليف والنشر محفوظة، ولا يجوز إعادة طبع هذا الكتاب
أو أي جزء منه على أية هيئة أو بأية وسيلة إلا بإذن كتابي من
المؤلف والناشر.

الطبعة الأولى 2004.

رقم الإيداع: 2004/8/1830

رقم الإجازة: 2004/7/1736

ردمك: ISBN 9957-02-160-5

أولاً

اتصل حامد باكراً مع أصحابه كمال وعلي وأشرف ليخبرهم بعودتي من الولايات المتحدة، وأنه يتوجب عليهم الحضور إلى منزلي في الساعة السادسة مساءً لتهنئتي بالسلامة واصطحابي إلى متنزه زحلة لقضاء سهرة الليلة سوياً احتفاءً بتخرجي وعودتي. كان اللقاء ممتعاً ومعبراً بعد غياب ستة سنوات قضيتها في الدراسة.

- أخبرنا يا ناصر ما هي أخبارك؟ سألني أشرف.
- جيدة جداً لا بل ممتازة فقد حصلت على درجتي بكالوريوس إحداهما في الهندسة الكهربائية والأخرى في هندسة الاتصالات.

- هذا رائع صاح كمال كيف فعلت ذلك يا ناصر؟
- معظم المواد متشابهة وبالتالي سنتان زيادة عن المدة المقررة وحصلت على بكالوريوس الاتصالات.

- وماذا ستعمل يا مهندس ناصر بهاتين الدرجتين، سأل أشرف بإعجاب وافتخار؟

- بسيطة سأعمل بوحدة واحتفظ بالأخرى كجوكر لحين الحاجة، أجبته ضاحكاً. وضحك الجميع بصوت عالٍ.

- أين ستعمل سأل حامد، هل في شركة الاتصالات؟ أو في شركة الكهرباء؟

- لا هذه ولا تلك لقد تركتها لكم ولماذا أراحكمم على أراكمم في هذه الشركات يا جماعة، قلتها مازحاً.
- قال علي، بجدية نوعاً ما، بالله عليك أخبرنا يا ناصر هل ستبقى هنا أم ستعود إلى أمريكا؟
- يا جماعة أنا مشتاق لكم جداً ولا أريد العودة، وأنتم تعلمون بأني ملتزم للعمل مع جهاز الأمن العام، اطمئنوا وظيفتي جاهزة وسأبقى هنا لأجلس على قلوبكم.
- سنراك ضابطاً لامعاً، قالها أشرف بافتخار وقام من مكانه ليؤدي لي التحية العسكرية، أنا تحت أمرك يا سيدي، فقط أريدك أن تصدر لي أوامرك لأنفذها.
- اجلس يا أشرف يبدو أنك أفرطت في الشرب، صاح كمال من الطرف الآخر للطاولة وهو يحمل كأساً بيده اليسرى.
- ومن بعيد قام حامد من مكانه وقال: يا جماعة كلنا مسرورون جداً لعودة ناصر ومنذ زمن لم نجتمع معاً، كنت أرغب بإعداد حفلة راقصة له ولكن اجتياح جنوب لبنان منعني من ذلك، وبالله يا جماعة دعونا نسمع ناصرأ ليحكي لنا عن حياته ومعيشته ومغامراته في أمريكا.
- فكرة جيدة صرخ أشرف احكي لنا يا ناصر كيف تجاوزت الصدمة الحضارية بانتقالك من حي الغويرية في الزرقاء إلى أحياء سان دييغو في كاليفورنيا؟

- لم أشعر بالصدمة الحضارية التي تحدثون عنها لقد تجاوزتها
بسرعة فائقة، فأبناء حي الغويرية معروف عنهم تخطيهم
للصعاب، شعرت بأني ذاهب كفاتح قادم من الشرق، يحمل
على كاهله هموم حضارة المتوسط وسحر أرض مهد الأنبياء،
ما زلت أذكر كيف كنت أناجي وأحيي أمريكا عند وصولي
إليها.

- يبدو أن المشروب بدا يأخذ مفعوله، قال كمال مازحاً.
- لا ... لا يا رجل، أبدأ فأنا معتاد على ذلك وجميع الزجاجات
التي تراها على الطاولة لا تؤثر على فقدان إدراكي أو وعيي.
- إذا أتم حديثك يا ناصر قال حامد بلهجة الأمر.
- كنت أود أن أكون معتمراً قبعة مثل المهاجرين الطليان
واليونان لالقي بها في عرض المحيط وتلتقطها الأمواج لتذهب
بها بعيداً.

- وتصل خليج العقبة الذي لم تزره بحياتك قال علي بسخرية.
- أرجوكم لا تقاطعوني، دعوني أتكلم... وتركزت محاجر العيون
باتجاهي.

اذكر فيما أذكر قولي، أنني هنا على شاطئ محيطك يا أمريكا
يا بلاد الحرية يا بلاد الديموقراطية يا بلاد الطاقات المتجددة
والمتفجرة والفرص النادرة والعقول المتحررة. إنني هنا يا أمريكا
بين أحضانك أيتها البلاد الحلم... أيتها البلاد القارة ... أيتها البلاد

الآمنة وملاذ الأحرار والمضطهدين والمسحوقين، أنا هنا أيتها
البلاد التي صنعت الكثير من الرجال العظماء عندما لفظتهم
بلادهم، فكنت خير مأوى. أنا هنا يا أمريكا يا بلاد القانون يا بلاد
المساواة. أنا هنا يا بلاد المال. كما من شخص أتى إليك معدوماً
وخرج ومعه الملايين؟ يا بلاد العلم والعلماء جنّت إليك لأنهل من
محراب علمك... لأرتوي من ينابيع معرفتك، لأفاخر بأنني درست
في بلاد الحلم، ضميني إليك يا أمواج المحيط ويا أشعة شمس
كاليفورنيا الجميلة اخترقي عظامي ولوني جلدي بألوان طيف قزح.
- تصفيق حاد يا جماعة صرخ حامد وبدأ بالتصفيق.

- وماذا بعد ذلك؟ سأل أشرف بلهفة وشوق.

وتابعت حديثي، بعد أن تناولت رشفة من كأس. لم أصدق
نفسي بأنني على شاطئ المحيط الباسيفيكي وعلى رمال سان دييغو
الذهبية، لأمشي قليلاً وأخوض غمار أمواج المحيط الحنونة،
ومشيت حتى وصل الماء إلى ركبتني وفجأة أدركت بأنني لا أجيد
السباحة فهذه أول مرة في حياتي أحاول النزول إلى الماء.

- ونهض كمال من مقعده واتجه صوبي، وسألني هل تعلمت
السباحة من دون علمنا؟

- قلت: لا... لا لم أكن أجيد السباحة حينها، ولكن تراجع قليلاً
وإذا بفتاة حسناء تنظر إلي وابتسامة تلو محياها الجميل، ربما

نظرة شفقة... وربما سخرية... وربما لا مبالاة... لتغوص في
الماء وتترك حسرة في قلبي.

وأضفت قائلاً يا جماعة أنا تعبان وأصبح الوقت متأخراً والأيام

قادمة هيا بنا.



بعد أسبوع من وصولي ذهبت لألتحق بعملتي في مديرية الأمن
العام حيث قابلني المقدم محمود علوان بكل لطف وأخبرني بأنني
سوف التحق بدائرة المخابرات العامة.

- ولكن يا سيدي أنا لا أعلم شيئاً عن المخابرات ولم أدرس أي
شيء في هذا العلم، يا سيدي إني موفد من قبلكم للحصول على
درجة البكالوريوس في الهندسة وحصلت على درجتي
بكالوريوس في الهندسة واحدة في الهندسة الكهربائية والأخرى
في هندسة الاتصالات.

- يا مهندس ناصر نحن نعرف ذلك.

- إذاً لماذا ترسلونني للعمل في غير تخصصي.

- ثق تماماً سوف تعمل في تخصصك، أنت مهندس لامع
وينتظر مستقبلاً زاهراً. سوف اتصل بالهاتف مع المهندس
عوني منصور لتلتقي به ويخبرك عن طبيعة عملك. وضغط

على الجرس ليأتي أحد الأفراد وأخبره بأن يقلني بالسيارة إلى دائرة المخبرات.

وعند وصولي إلى هناك قادني أحدهم إلى مكتب المهندس منصور حيث رحب بي وكان مبالغاً بترحيبه. وعيوني تتجول في أنحاء المكتب الفاره الفخم ويبدو بأنه من خارج البلاد واستورد خصيصاً.

- أهلاً بالمهندس ناصر، أنا زميلك عقيد مهندس عوني منصور، سوف يتم تعيينك برتبة ملازم أول وسوف نعمل كفريق واحد، هناك امتيازات كثيرة للعمل في هذه الدراسة سنتعرف عليها شيئاً فشيئاً.

- يا سيدي العقيد هل من الممكن أن تخبرني عن طبيعة عملي.
- نعم ... نعم ... بكل تأكيد، نحن بصدد تطوير عمل الدائرة بشكل عام وهذا يتبعه تطوير في الأجهزة الإلكترونية وأجهزة الكمبيوتر وأجهزة الاتصالات، وأرى بأن أفضل شخص للقيام بهذه المهمة هو أنت، فمؤهلاتك العلمية لا غبار عليها وكذلك اتقانك اللغة الإنجليزية بطلاقة مما يسهل علينا كثيراً من أعمالنا أو الاتصال مع الخارج. عدا ذلك سوف يتم إرسالك في دورات قصيرة أو طويلة المدى حسب ما تقتضيه الحاجة.
- حسناً، الآن فهمت ما هو طبيعة عملي يبدو أنه من صلب اختصاصي.

- سيتم إرسالك في دورة تدريبية ميدانية لمدة ثلاثة أشهر كما هو متبع ومن ثم تلتحق بفريقنا.

أمضيت المدة المقررة للتدريب الميداني حيث فقدت أكثر من ثمانية كيلو غرامات من وزني، كانت التدريبات شاقة ومتعبة ومستمرة، من تدريب كيفية أداء التحية العسكرية إلى الرماية بالذخيرة وبدأت وزملائي مشروع تطوير حوسبة الدائرة برئاسة العقيد منصور.

بدأت التعرف على طبيعة عمل الدائرة شيئاً فشيئاً وكيفية التعامل مع القضايا المختلفة وبعد ثلاث سنوات من الخدمة تمت ترقيتي إلى رتبة نقيب. ولم يكن بالإمكان أن أتجاهل ما يدور حولي وفي إحدى الأمسيات كنت الضابط المناوب وكنت جالساً في مكتبي أتابع قراءة مشروع عطاء تطوير شبكة الاتصالات وإذا العقيد منصور يدخل مكتبي ويبدو عليه الإرهاق، فنهضت واقفاً وأديت التحية العسكرية له وعرضت عليه أن يجلس على مكتبي ولكنه رفض ذلك وجلس على المقعد الأمامي مما اضطرني إلى أن أجلس أمامه، وبادرته بالسؤال عما يقلقه أو سبب له الإرهاق.

لا شيء فقط أنا بحاجة إلى النوم فلم أنم كفايتي الليلة الماضية. لقد كنت ليلة البارحة في مهمة شاقة استغرقت جل الليل، وعدت إلى المنزل لأنام مع طلوع الشمس، ولكنني لم استطع أن أخلد إلى النوم بسبب سائق الجرافة الذي بدأ العمل مع ساعة قدومي إلى

البيت وكنت أشعر بأن ماكينة الجرافة تدور في رأسي، ولرغبتني الشديدة في النوم اتصلت بأحد العناصر في الدائرة وقلت له بأن هناك شخصاً يجرف الأرض بحثاً عن ذهب، أرجو أن تأخذوه وعند عودتي إلى المكتب أعرضوا قضيتي علي. واستغرقت في النوم حتى وقت العصر عندما أيقظتني زوجتي لتخبرني بأن علي الذهاب لأمر عاجل فارتديت ملابسني على عجلة من أمري وذهبت إلى الدائرة حيث أتممت بعض المعاملات الورقية الروتينية وإذا بمساعدي يخبرني عن قضية سائق الجرافة.

فقلت له: عن أي سائق وعن أي جرافة تتكلم؟ فأخبرني عن مكالمتي له في الصباح وأن السائق كان يجرف الأرض باحثاً عن ذهب. فصفعت رأسي بكفي وقلت آه لقد نسيت الموضوع كلياً. أطلقوا سراحه.

- سيدي كيف نطلق سراحه؟ وقد اعترف بأنه يبحث فعلاً عن ذهب.

- ولكن يا عزيزي المنطقة بجواري لا تحتوي على ذهب أو حتى على دفائن.

- ولكنه يا سيدي اعترف بفعلته وهذه تواقيعه على جميع إفاداته واعترافاته وهناك شركاء له.

- ما العمل الآن؟ أصبحت قضية ولها جذور وهناك إفادات فليأخذ التحقيق مجراه.

فقتل له: إنك تعلم بأن السائق برئ.

- نعم، ولكنها أصبحت قضية موثقة ولا يمكنني التراجع عنها.
- ولكنه سعي مع الفجر عندما يوزع الله الرزق على عباده، وأنت كنت ذاهباً للنوم.
- فأجابني بنبرة صوت خافتة: هذا هو سر عملنا، نجعل من اللاقضية قضية.



في حوالي الساعة العاشرة مساءً انطلقت بسيارتي البورش متوجهاً نحو منزلي في الزرقاء، ولم تفارق مخيلتي قضية سائق الجرافة. وبدأت أعبت بمفاتيح راديو السيارة علي أجد خبراً مفرحاً وتوقف مفتاح الراديو لأسمع صوت مقرئ القرآن يقرأ "ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضكنا ونحشره يوم القيامة أعمى. قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً . قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمِ تَنْسَى".*

خالجني شعور غريب عند سماع هذه الآيات، وشعرت بتيار كهربائي يسري في كل خلية من جسمي لتزداد نبضات قلبي ويتسارع تنفسي، وترتجف يداي وقدماي، وبدأ حاسوب السيارة يطلق صوت التحذير بأن هناك خللاً ما وعدم السيطرة على القيادة. شعرت بأن الزمن توقف هنا وقلت في قرارة نفسي أي عمل هذا

* سورة طه، 124-126.

الذي أعمل به؟! يجب أن أترك هذا العمل... يجب أن أترك هذا العمل ولا أبالي مزاياه.

لم أستطع النوم طوال الليل وقضية سائق الجرافة تورقني ولا تفارق مخيلتي، كنت أسمع عن حوادث كثيرة مشابهة لهذه الحادثة ولكنني لم أكن أصدق أياً منها، ظننت أن مثل هذه الحكايات من باب المداعبة أو التجني. هذه المرة مختلفة أعيش القضية وكأنها قضيتي. وفي الصباح ذهبت إلى العمل متثاقلاً أجر قدمي جراً بطيئاً ووصلت إلى مكتبي ولم تكن عندي الرغبة بالقيام بأي عمل واتصلت بأصدقائي حامد وأشرف وعلي وكمال وأخبرتهم بأن عليهم القدوم إلى منزلي في المساء لأمر مهم.

وعند حضورهم بادر حامد بالسؤال: أكيد وجدت عروساً جميلة وتفكر بخطبتها وتود رأينا.

وقال علي: لا أعتقد ذلك أبداً، إنك يا ناصر ترغب بأن تبديل سيارتك البورش بواحدة أخرى، ربما بسيارة فيراري وتريدنا أن نختار لك اللون.

أما أشرف فقال: أنا متأكد من أنك مسافر في دورة كالعادة والسؤال الروتيني: ماذا أحضر لكم؟

وصاح كمال: أعتقد بأننا مدعوون إلى سهرة في مكان ما ... مفاجئة، وعلى كل الأحوال نحن جاهزون للانطلاق.

ابتسمت ابتسامة خفيفة تنم عن قلق وعلى غير عادتي ارتفع صوتي بالضحك وقلت يا أصدقائي لقد جمعتكم لأخبركم بأني قررت الاستقالة من عملي. ماذا تقول: صاح الجميع بصوت واحد. نعم قررت الاستقالة من عملي. أجبت بكل جدية. أكيد أنت لست بوعيك صرخ أشرف، هناك أشخاص كثيرون يحلمون بأن يصلوا إلى ما أنت عليه. قال حامد. وإذا استقلت يا ناصر فلن نركب سيارة بورش أبداً. قالها كمال ضاحكاً. ناصر هل أنت مصاب بحمى؟ سألني علي بسخرية! صمتُ برهة والتفتُ إلى أصدقائي وقلت: أنا جاد فيما أقوله. في اليوم التالي قدمت استقالتي من العمل وتم قبولها بعد ثلاثة شهور.

ثانياً

بعد استقالتي بدأت البحث عن عمل فذهبت إلى كثير من المؤسسات الحكومية التي لم تقبل طلبي كوني كنت أعمل أصلاً في مؤسسة تعد حكومية ولم أستطع الحصول على عمل في القطاع الخاص عندما يعرفون أين كنت أعمل لأن من يعمل في الدائرة يبقى مرتبطاً بها طيلة عمره. لم أكن أتوقع هذا الذي يحصل توقعت أن أحصل على عمل براتب جيد يتناسب مع مؤهلاتي العلمية بكل سهولة. لم أترك باب عمل إلا طرفته ولكن دون جدوى. شعرت

بكثير من الإحباط ومن تغير سلوك الناس معي ومن كانوا يتوددون لي أصبحوا يتوارون عن الأنظار وحتى أصدقائي.

وفي أحد الأيام عندما كنت أتصفح الجريدة باحثاً عن إعلان عمل شدني نداء بالدعوة والمناشدة والتطوع للذهاب إلى البوابة الشرقية للتصدي لأعداء الأمة العربية. فذهبت في اليوم التالي إلى المكان المحدد للتطوع ووجدت بضع عشرات من المتطوعين ربما من العاطلين عن العمل أمثالي أو ربما من الهاربين من الضغوط الاجتماعية، ومن سلطة زوجاتهم أو ربما من الباحثين عن فرص للإغتناء. وأخبرنا المسؤول بأن هناك قافلة ستغادر مساء اليوم فمن يحمل جواز سفر يستطيع أن ينضم إلينا سننطلق الساعة الثامنة مساء من هذا المكان. فقررت في نفسي أن أغادر اليوم ولماذا الانتظار وليس هناك من انتظره و"جودو" لن يأتي أبداً. وفي الساعة المحددة انطلقت بنا الحافلة صوب الحدود الأردنية العراقية. وعلى الجانب العراقي من الحدود تم تجميعنا في حافلتين كبيرتين واتجهت الحافلة التي كنت فيها نحو منطقة أبي غريب غربي بغداد وهناك تم تجميع المتطوعين في أحد المعسكرات الميدانية.

التقى الضابط المسؤول بنا وأخبرنا بأنه سيتم ترحيلنا إلى جبهة البصرة مساء هذا اليوم وطلب منا أن نسلم جوازات سفرنا إلى

المسؤول عن المعسكر وأفاد بأننا سوف نستلمها عند وصولنا إلى الجبهة. وتم نقلنا في أربع حافلات مظلمة مع الغروب. مضت الساعات رتيبة ومملة خلال الرحلة ولم تكن عندي الرغبة بالكلام مع الشخص الذي يجلس إلى جانبي وصوت مذياع الحافلة يشدو بأغنية لأم كلثوم، اعترف بأنها فنانة عظيمة ولكن لم أفصح في حياتي بحفظ جزء من أي أغنية لها ولا أعرف أغانيها ولا أعرف متى تبدأ أو متى تنتهي، فحاولت أن أستسلم للنوم وأفلحت بعد عدة محاولات.

كان في استقبالنا عند وصولنا قائد المعسكر الذي كان ترحيبه بارداً نوعاً ما وليس فيه أي حماس لمقاتلين متطوعين أمثالنا. فطلب منا تعبئة استمارة تحتوي على الاسم والسن والجنسية والتحصيل العلمي والمهنة. بعد تعبئة الاستمارات تم جمعها وأخبرنا بأن اليوم استراحة وغداً الاجتماع هنا في تمام الساعة السادسة صباحاً. أمضيت اليوم في التجوال داخل المعسكر ولاحظت بأنه يفتقد إلى وجود الجنود ولا يوجد إلا بضعة حراس على مداخل المعسكر ومخارجه فقلت في نفسي ربما الجنود في الجبهة كما هو متوقع وربما هذا معسكر للتدريب الميداني وحسب لإعدادنا بشكل جيد للقتال. جلست تحت إحدى شجرات النخيل الموجودة بكثرة وفي أثناء جلوسي اقترب مني شخص قصير القامة يسير واعوجاج بساقيه تبدو منحنية نحو

الخارج كأنهما قوسان يقتربان من قطبيهما، دنا مني وقال لي:
هل تذكرني؟ لقد كنت أجلس بجانبك أثناء قدومنا من أبي
غريب إلى هنا.

- أهلاً بك يا عزيزي.

- أنا اسمي علاء الشيواني من مدينة حماة.

- وأنا اسمي ناصر، ولماذا أنت هنا يا سيد علاء.

- لقد فقدت عائلتي بأحداث حماة قبل عدة سنوات ولا يوجد هدف
محدد أعيش لأجله وسمعت من أشخاص عن فتح باب التطوع
للمحاربة في الجبهة الشرقية وهانذا كما ترى مثلك على
مشارف الجبهة.

- هل تجيد استعمال السلاح يا صديقي علاء.

- أبدأ ولكن سوف يدبروننا قبل ذهابنا إلى الجبهة، ألا تؤيدني
بذلك؟

- بالتأكيد أنا أؤيدك يجب أن نخضع لتدريب شاق يليق برجال
محاربين، وماذا كنت تعمل قبل تطوعك؟

- كنت أعمل في النجارة، وأنت يا ناصر ماذا كنت تعمل؟

- كنت عاطلاً من العمل، والآن لنذهب فقد حان وقت الغداء.

في اليوم التالي في الساعة السادسة صباحاً حضر قائد
المعسكر وألقى علينا خطبة مقتضبة أشاد فيها بانتصارات الجيش
العراقي على أعداء الأمة من العجم وقال أننا سوف نعيد أمجاد

معركة القادسية وأن النصر قادم... قادم... قادم. وتابع حديث بأنه تم دراسة الاستثمارات وتم تشكيل أربع مجموعات منكم: مجموعة العدل ومجموعة الكفاح ومجموعة مسبح ومجموعة هدام. كل مجموعة تتكون من خمسة وعشرين شخصاً، وبدأ يتلو أسماء الأشخاص في كل مجموعة، وتم وضعي في مجموعة مسبح وكانت فرحة علاء الشيواني كبيرة جداً لوجوده في مجموعتي. وأخبرنا بأنه سيتم نقلنا من هذا المكان، وغداً صباحاً ستنتقل القوافل كل مجموعة إلى منطقتها فاذهبوا واستريحوا الآن.

وصلت مجموعتنا إلى منطقة تدعى أم الجدي وهي منطقة استراتيجية مظلة على الأهوار كلها. لا يعرف أحد بالضبط منذ متى يعيش الناس في الأهوار، ويعتقد بأن آدم وحواء عليهما السلام عندما طردا من الجنة هبطا في هذه المنطقة، فعندما تشرق الشمس ترى حواء وجه آدم وعندما الغروب يرى آدم وجه حواء، كل منهما يسير نحو الآخر حتى التقيا هنا في قلب الأهوار. شروق الشمس وغروبها من أجمل مناظرها التي لا يمكن لأي شخص أن ينسأه.

وتعد منطقة الأهوار منطقة فريدة في طبيعتها فهي كثيرة الأنهار والجداول وتلتف الأشجار عالياً لتخفي ما بداخلها ليلاً أو نهاراً، وتعد ملاذاً للأحرار الهاربين من جور الحكام أو قواعد للمناضلين لتحرير الوطن من أعدائه والملفت للنظر أنها لم تكن

أبداً ملاذاً للطغاة أو للصوص. منطقة يصعب اقتحامها براً والزوارق الحديثة لا تستطيع الحركة بحرية إما بسبب ضيق الجداول وكثرة تعرجاتها في كثير من الأحيان أو عدم تكيف المحركات مع نوعية المياه حيث تتعطل ولا تستطيع الدوران بعد أقل من ربع ساعة من تشغيل المحرك. ويستعمل السكان قوارب بسيطة مصنوعة من أحد أنواع الخيزران الذي ينمو بكثرة هناك.

كما في استقبالنا قائد المعسكر الفريق المهندس زهار السميني الذي جمعنا في قاعة فسيحة وخرائط كثيرة معلقة على الجدران وبدأ حديثه عن طبيعة العمل الذي يقوم به وما سوف يترتب عليه وما هي طبيعة مهمتنا ونوع العمل الذي سيوكل إلينا. قال بأنه يجب تكتيف الأنهار، مشيراً بعصاه الرفيعة الطويلة إلى الخرائط لتوضيح مقصده، بإنشاء السدود الترابية على جوانب الأنهار التي تغذي أهوار محافظة ميسان ويبلغ عددها سبعة أنهار ويتبعها تهذيب ضفاف الأنهار بإنشاء السدود الترابية عند نهايات الروافد والجداول التي تغذي الأنهار ويبلغ عددها أربعين وتحويل مسارها إلى نهر الفرات. بعد هذه العملية يتم تحويل نهر الفرات من شرق مدينة الناصرية إلى المصب العام وهذا تحويل مجرى الفرات الطبيعي الذي هو جزء من الأهوار يتبع ذلك تكتيفاً لنهر الفرات بعمل السدود ومنع تسرب المياه نحو الجنوب وأخيراً تقسيم الأهوار إلى مناطق يمكن السيطرة عليها وتجفيفها.

بعد أن انتهى الفريق السميني من حديثه سألته وأين سيذهب
سكان الأهوار؟

- سيتم نقلهم إلى منطقة الفرات الأوسط.
- كيف تنقلون مجموعة بشرية سكنت في هذه المنطقة منذ سبعة
آلاف سنة إلى منطقة أخرى؟
- لقد أعدنا كل شيء لهم من أجل حياة كريمة وبيئة نظيفة
وعمل منتظم.
- أعتقد بأن ما تقومون به هي جريمة من نوع إبادة الجنس
البشري.
- إنك لا تعي ما تقوله يا سيد ناصر فإني أحذرك من تكرار هذه
الأحاديث، قمنا بدراسات علمية وبيئية وأنثروبولوجية لهذا
المشروع الضخم ولن نسمح لأي كائن كان أن يقف في طريق
تنفيذ هذا المشروع العظيم، أنت وأمثالك الذين لا تفكرون أبعد
من إبهامكم لا تستطيعون أن تقودوا قطعاً من الماشية فكيف
تستطيعون التفكير بقضايا أمه؟
- يا سيدي جننا هنا لنحارب وليس للعمل في تجفيف الأهوار.
- هذه الأعمال لا تقل أهمية عن القتال في الجبهة ونحن عندنا
الجيش الكافي ليتكفل بالحرب وتحرير الفاو كلنا ننتظر اليوم
العظيم يوم "أم المعارك".
- أخشى أن تكون أم المهالك.

- ماذا قلت يا سيد ناصر؟

- لا شيء يا سيدي، فقط أحدث نفسي لماذا نحن هنا؟ وما الذي

سوف نعمله؟

حسناً، أنتم هنا لأمرين أولهما لتجفيف منطقة الأهوار وثانيهما
لزرعها بالأغام الأرضية. والآن استراحة لمدة نصف ساعة،
ليخرج الجميع ولتبق أنت يا مهندس ناصر.

ودنا مني وبدأ كلامه بصوت خافت ولكنه مسموع، لقد قرأت
استمارتك وأنت تحمل مؤهلات عالية، ولا يعجبني حديثك على
الإطلاق وأخشى أن يؤثر حديثك على الآخرين "والنعجة الجرباء
تعدي القطيع كله". وأريد أن أقول لك سرّاً فقد استطاع علماءنا في
مؤسسة التصنيع الحربي اختراع حذاء من نوع خاص اسمه
"حذاء الفاو" وهذا الحذاء يحتوي في أسفله على رقيقه من
الخاصين تحتوي على جهاز إحساس واستشعار عن بعد ويعمل
على الأشعة تحت الحمراء. عندما يقترب الجندي من أي لغم
أرضي يبدأ الجهاز بإرسال الذبذبات إلى الزمركات الموجودة في
أرضية الحذاء وتبدأ الاهتزازات القوية بالحركة لترمي الجندي إلى
مسافة آمنة معاكسة لوجود اللغم. إنه اختراع عظيم وهناك تكتم
على هذا الاختراع خوفاً من سرقة واستغلاله من قبل الجهات
المعادية وبخاصة الاستخبارات المركزية الأمريكية والموساد
الصهيوني.

- حقاً إنه اختراع عظيم، ولكن إذا كان هناك ألغام كثيرة كيف يمكن للجندي أن يتفادها.

- يبدو أن الأمور لا تروق لك كثيراً وسؤال جيد عندما تصلني أحذية الفاو ربما من الأجدى تجربتها.

- جنّت لأحارب ولا أرى حرباً، أنا والجميع هنا أتينا للبحث عن معركة للبحث عن قضية نحارب من أجلها ومنتصر لأجلها ونستشهد دفاعاً عنها، للبحث عن بطل نحارب معه في هذا الزمن البغيض. إنني لا أرى سوى أننا نقوم بعمل يغير وجه التاريخ ويشرد مئات الآلاف من البسطاء من أجل القضاء على العدو!.

- سيد ناصر أنا لا أسمح لك أن تتكلم بهذه الطريقة، أنت شخص متخاذل سيتم وضعك في صفوف المتخاذلين وأمر اثنين من الحراس بإخراجي واقتيادي إلى مكان أشبه بالزرية مخصص للمتخاذلين أمثالي على حد قوله.

جلست أفكر في مصيري وهل مصيري أفضل من مصير المحاربين على الجبهة، وما أنا إلا صفر على الشمال لا قيمة له ولا اعتبار. كنت من الذين صفقوا لبداية الحرب عندما قامت 154 طائرة عراقية من أيلول 1980 بقصف مواقع إيرانية وأخبار الانتصارات على الجبهات واحتلال مدن العدو ومناطقه. يومها كنت طالباً في أمريكا وربما ماكنة الدعاية الغربية أظهرت الأمر

مغايراً للحقيقة لدفع قوات الدولتين للقتال، وأصبحت الحرب سجالاً، آلاف الشهداء وآلاف الأسرى من الطرفين وجميعهم من المسلمين. من هو وأين هو العدو؟ سؤال سأله قبلي الدكتور "جيفاجو" وأخبروه زعماء الثورة البلشفية بأن "أي شخص ضد الثورة هو عدو"! سؤال يجب أن أسأله لنفسي قبل أن أتي إلى هنا؟ الآن اعترف بأنني غبي وغبي جداً وأنا في بداية عام 1986 حيث دفع الشعب العراقي 50 ألف شهيد عندما اندفعت القوات الإيرانية واحتلت شبه جزيرة الفاو، والآن الاستعداد لأم المعارك لاسترجاعها. وهذا المخبول يقول بأن استرجاعها لا يمكن إلا بتجفيف الأهوار وزرعها بالألغام الأرضية خوفاً من أي التفاف من قبل الجيش الإيراني. ولا ينقذنا إلا حذاء الفاو...!

في اليوم التالي تم اقتيادي إلى قائد المعسكر وعندما امتثلت أمامه رمى نحوي علبة ثقاب والتقطتها بين يدي ونظرت إليها لأرى عليها صورة السيد الرئيس وبلهجة أمرة طلب مني أن افتحها وإذا بها عود ثقاب واحد.

كما ترى أيها المتخاذل يوجد بها عود ثقاب واحد فقط والمطلوب منك أن تقيس محيط المعسكر بهذا العود ابتداء من برج المراقبة عند البوابة الرئيسية وانتهاء بها.

ولكنني أستطيع أن أحسب محيط المعسكر وأنا جالس هنا،
فطول عود الثقاب معروف وأبعاد المعسكر معروفة، كما ترى انها
عملية حسابية بسيطة جداً.

قلت لك أن تستعمل عود الثقاب فقط وعندما تنتهي من عملك
يجب أن تعيده لي وتخبرني عن النتيجة أريد فعلاً ولا أريد تخاذلاً
أبداً.

وبدأت العمل من حيث أمرني وضعت عود الثقاب على
الأرض وبدأت بالعد واحد اثنان ... ثلاثون بدأت أشعر بالتعب فلا
أستطيع الجلوس ولا أستطيع الوقوف، ارتكز فقط على مشط قدمي
فبدأت أشعر بالألم يبدأ من أسفل قدمي و يصعد إلى دماغي، وبدأت
أتصبب عرقاً فالشمس حارقة والرطوبة عالية، ونزعت قميصي
لأضعه عمامة على رأسي. تبا لهم من أين يأتون بهذا النوع من
العقاب؟ لم أسمع ولم أقرأ عنه من قبل وأنا الآن أعيش هذا النوع
الجديد من العقاب في البداية ظننت بأن الأمر هين والآن اكتشف
عكس ذلك تماماً، هذا عقاب المتخاذلين وكيف يكون عقاب
الخونة؟! ما الفرق بين المتخاذل والخائن يا ترى؟ هل ما يقومون
به بطولة أم خيانة؟... بطولات لاسترجاع قادية سعد كما يدعون،
بل إنها خيانة لنتيجة معركتك يا سعد، ألا يوجد سعد بيننا لإحول
عود الثقاب هذا إلى رمح لا رمي به كبد الأعداء. يبدو أنني بدأت
أهلوس ... مائة وستون، مائة وسبعون.....

لم أعلم كم الساعات غبت عن الوعي وعندما صحوت وجدت علاء بجائبي وأخبرني أنه كان يراقبني عن بعد وعندما سقطت أرضاً أسرع لإنقاذي وحملني إلى الداخل وبدأ برش الماء البارد على وجهي حتى صحوت. شعرت بالإرهاق والصداع الناتج عن ضربة الشمس، وشيئاً فشيئاً بدأت أستعيد توازني، وجاء قائد المعسكر الفريق السميني ونظر إلي نظرة تنم عن تشف لما حدث لي وقال بأن لا مكان لي في المعركة فقد رسبت من أول امتحان بسيط، وأين أنتم، وأشار بسبابته نحو علاء، من الأبطال الذين يقاتلون على الجبهة، ويتوجب عليك أنت وصديقك أن تقوما بتنظيف المعسكر وضع القمامة في أماكنها المخصصة. إن هذا أمر ولا مجال لمناقشته، غداً صباحاً يبدأ عملكما.

بدأنا العمل الذي ليس فيه أي متعة واستمر الحال لعدة أشهر وكلما أردت مقابلة القائد يرفض المقابلة بحجة أنه مشغول بالتخطيط لأم المعارك ولا وقت لديه لقضايا المتخاذلين أمثالي. وحاولت الحصول على جواز سفري ولكن بدون فائدة. قررت الهروب وحاولت إقناع صديقي بالفكرة ولكنه لم يتحمس لها كثيراً فهي تنطوي على المخاطرة الكبيرة ونجاحها غير مضمون، وكانت الخطة تقضي باستخدام ألواح من الخشب كقارب ورميه في نهر أم الجدي والعموم فوقه حتى الوصول إلى خليج البصرة، ربما يكون الدفع الذاتي للقارب يساعدني على النجاة. حسم صديقي أمره بأنه لا

يرغب بالمغامرة ولكنه ذكرني بأنه نجار وسوف يساعدني بعمل القارب.

تقع حاوية القمامة في الركن الشرقي من المعسكر ومن خلف السور يجري نهر أم الجدي، والخطة تقتضي بأن أعتلي الحاوية وأرمي القارب بالنهر ثم أقفز وراءه. بدأت بتجميع ألواح الخشب وإحضارها إلى الحاوية ويقوم صديقي باختيار ما يصلح لعمله، وبعد أسبوعين أخبرني بأن القارب جاهز. بدأت أخطط لتنفيذ الهروب، ولا يمكن الاعتماد على الأحوال الجوية أبداً، الجو الحار والرطب هو السائد، لا توجد رياح أو أعاصير أو ظرف جوي يساعدني على الهروب. وليس عندي أي فكرة عن عمق النهر. إنها مغامرة إما أن أقبل وأن أقوم بها، وأما أن أبقى حيث أنا. ولكنها أفضل من الوضع الذي أنا فيه. فأنا ليس إلا جامع قمامة ولا أحد يأبه بذلك.

قررت أن أقوم بالتجربة في المرحلة الأولى واخترت ليلة قمرء حيث اعتليت الحاوية وناولني صديقي القارب وقذفت به نحو النهر الذي التهمه بسرعة لم أر أثراً له، وفجأة بدأت كشافات الإضاءة تصوب نحونا، حيث حضر جنديان وقادانا إلى قائد المعسكر، وسألنا عما نفعله في هذه الساعة من الليل، فأجبت بأننا نؤجل بعض أعمال النهار إلى الليل وذلك تجنباً للرطوبة العالية التي تؤثر على صحتي وأجد أحياناً صعوبة بالتنفس.

- أحاول أن أصدقك يا سيد ناصر ولكن حذار من اللعب معي، سأرسلكما إلى ما وراء الشمس إن قمتما بأي عمل غير الذي أوكلته لكما.

- حاضر يا سيدي، ولاحظت بأن ساقى صديقي المنفرجتين بدأتا الاقتراب من بعضهما. واستأذنت بالانصراف ولم يعرني أي انتباه. الحمد لله على سلامتنا قالها صديقي الذي كان بالكاد يبتلع ريقه.

- لماذا أنت ترتعد خوفاً؟

- ألم تسمعه حين قال بأنه سيرسلنا إلى ما وراء الشمس؟ لقد سمعت عن قصص كثيرة من هذا القبيل، وآخر قصة عن ترحيل خمسة عشر شخصاً في خزان وقود ولم يخرجوا منه سالمين بسبب نقص الأكسجين. كيف قادني حظي المتعثر إلى هنا، لألتقي ببائس مثلك!

فكرت ملياً بماذا سأفعله، يجب تغيير تكتيك الخطة، وأخبرت علاء بأن علي أن أختار ليلة مظلمة داكنة، ويجب أن أجد ثقلاً أضعه في القارب حتى لا يحدف بعيداً، وصحت فجأة لأقول وجدتها.....!

- وماذا وجدت يا عزيز؟ قالها علاء بعدم اكتراث.

- نعم وجدتها، سنعلق قطوفاً من البلح على أركان القارب لتخفف من سرعته وتزداد مقاومته للتيار.

- فتنهد علاء وقال إنها فكرة رائعة، ولا أعلم إن كانت قابلة للتنفيذ أم لا؟

- لا يوجد عندي خيارات كثيرة، ويجب أن أقبل التحدي.

بدأنا العمل على إعداد قطع متفرقة من الخشب لصنع ما يسمى قارباً ليتم تجميعها في ليلة الهروب، وانتظرت ثلاثة أسابيع حتى كانت ليلة مظلمة وفي ساعة الصفر الثانية فجراً، ودعت صديقي علاء، الذي أصر على بقاءه وعدم المغامرة على نتيجة فرصة النجاح فيها لا تتجاوز نصفاً من الألف. اعتليت الحاوية وشعرت بفرح غامر كأنني استقل قمرة قيادة مكوك فضائي، ودفعت القارب برفق إلى أسفل الحائط وقطوف النخيل تتدلى منه، وأطلقتته من يدي وصرخ علاء "اقفز"، وفي حالة من اللاوعي قفزت وعند ضفاف النهر ركضت لأحضن قاربي الذي بدأ يجري بفعل الدفع الذاتي للتيار.

بدأت بحل قطوف البلح من الزوايا، وبدأ يتسارع ولا أعرف الاتجاه وكل ما أعرفه إنني كنت متشبثاً بالقارب بكلتا يدي لأحافظ على توازني، وبدأ تسارع القارب يخفف تدريجياً ولكن دون توقف، وبدأ الفجر يغزل خيوطه ليرسل جدائله على سطح الماء لتنعكس على ضفاف النهر. بدأ الخوف يتسلل إلى داخلي، خوف ممزوج بالموت غرقاً أو القبض علي لهروبي لأرسل إلى ما وراء الشمس، كل الحياة مغامرة وما أنا إلا مسافر أبحر فيها ربما تكون هذه آخر

محطة لي وربما لا، ولكني عزمت على اقتلاع النور من عين النمر.

بدأ القارب يتهادى ومجرى النهر يضيق، ومن بعيد لمحت مجموعة من الأشخاص يلوحون بأيديهم لي، ماذا يفعلون في هذا الصباح الباكر؟ دنا القارب منهم ومد أحدهم يده لينتشلني ويقول لي نهارك سعيد، وسألني ماذا تفعل؟ فأجبته بأني أمارس هواية التجديف على القوارب البدائية. وأنتم ماذا تفعلون هنا؟

- نحن مجموعة من الخبراء والمختصين ومهمتنا دراسة تأثير تجفيف الأهوار على التنوع الحيوي والبيئي، وتم تمويل المشروع من قبل هيئة الأمم المتحدة. كما ترى هذا فريقتي يتكون من ثلاثة شبان وفتاتين وأنا رئيس الفريق. هل تفضل أن تشرب كوباً من الشاي أو من القهوة؟

- الحمد لله إنني التقيت بكم، أريد كوباً من الشاي، مددت له يدي مصافحاً، اسمي ناصر. وبعد تجاذب أطراف الحديث أبدت له رغبتني بالانضمام إلى فريقه.

- ابتسم ابتسامة خفيفة وقال بأن لا مانع عنده والنفت إلى فريقه وأمؤوا بروؤسهم بالموافقة.

- أخبرني رئيس الفريق الدكتور جوزيف شافيلر عن طبيعة مهمتهم، وسألني أين أستطيع أن أجد نفسي لمساعدته وإنجاح مهمته؟

- أستطيع إدخال المعلومات والصور والاحتفاظ بها واستخراجها عند الحاجة، أنا بارع في التعامل مع أجهزة الحاسوب والالكترونيات والاتصالات.

- حسناً، ستعمل مع الأنسة سامينتا رودرز وسوف تخبرك بما عليك عمله.

- اقتربت مني وقالت بإمكانك أن تناديني "سا" ونحن بالعادة ننادي الدكتور "جو" فقلت إنني أشعر بالإرهاق والتعب وأرغب بالنوم، فقادتني إلى منزل فسيح يبعد حوالي نصف كيلومتر من الموقع ومرفوع عليه علم الأمم المتحدة.

لم أجروُ على الخروج خارج المبنى، وكيف لي أن أخرج وأنا لا أحمل أي إثبات هوية! شعور قاس أن تشعر بأنك "بدون" تبحث عن هويتك، وتقع الآخرين بما هو أنت! ولا أرغب بالنزول إلى الميدان حتى لا أتعرض إلى سؤال ويطلب مني إثبات هويتي لأنني أصبحت الآن "بدون".

عملت أنا وسا سوية وقمنا بتخزين وبرمجة جميع المعلومات والتقارير التي يطلبها منا الدكتور جو. سا في بداية الثلاثينات من عمرها من ولاية يوتا في الولايات المتحدة الأمريكية تتبع تعاليم طائفة المورمن، شعرت بالأمان لوجودها قربي، وبدأت أستلطفها وبادلتني الشعور نفسه عرضت أمر الزواج على سا فوافقت وأخبرنا الدكتور جو الذي بارك الزواج وأقام حفلة زفاف صغيرة

حضرها كل العاملين في المركز ليكونوا شاهدين على الزواج، كما في الهند لا يوجد وثيقة زواج رسمية ويتم الاحتفال أمام مئات من الأشخاص ليكونوا شاهدين ومباركين للزواج، هذا ما قاله الدكتور جو في كلمته في الاحتفال أمام المدعوين والذين لم يتجاوز عددهم أربعة أشخاص.

لم يتمكن الدكتور جو من الحصول على دعم لتكملة مشروعة مما اضطره وفريقه لحزم أمتعتهم والعودة إلى بلادهم، وبقيت أنا وسا، شعرت بشيء من الإحباط بأنني لا أستطيع أن أعمل أو العودة إلى الوطن. بدأ الخوف يعيش في داخلي ولا أستطيع أن أبوح به لزوجتي، الخوف من المجهول والخوف من البحث عن ذاتي والخوف من الهروب عبر الحدود، خوف داخلي لا أريده أن ينمو أكثر ويشدني إلى الوراء، أنا الآن لست وحدي عندي زوجة فتضاعفت مخاوفي. دنت مني سا وقالت ما بك؟ فقلت لا شيء. فأجابت لا تقلق فأنا معك سنتدبر أمورنا سوية، ولقد وجدت عملاً في محافظة ميسان مع فريق آخر من الأمم المتحدة حيث حصلوا على دعم مالي لمدة أربع سنوات لدراسة التغيرات الاجتماعية والنفسية في منطقة الفرات الأوسط خلال الحرب العراقية الإيرانية.

- وماذا بشأنني أنا؟ إلى متى أبقى "بدون"؟! -

- نسيت أن أخبرك بأن جواز سفرك سيكون عندك خلال أسبوع
هذا ما أخبروني به، فأنت تعلم بأنه تم تحرير الفاو، ولا أعتقد
بأنهم ما زالوا بحاجة إلى جواز سفرك.

- أريد أن أرحل إلى الأردن.

- يا زوجي يا عزيزي، أنت تقرر إلى أين سنرحل وأنا أتبعك.

وبعد عشرة أيام جاءت زوجتي فرحة بأنها أحضرت جواز
سفري ولم تخبرهم عن وجودي، فقط لم يعودوا يهتموا بأمرى،
ناولتني إياه وتصفحته لأجد كل صفحة مدموغة بختم "متخاذل"
ويمنع خروجه من الحدود. لو أنك يا زوجتي لم تحضريه وبقيت
"بدون" لكان أفضل. وبدأت بمساعدة زوجتي في عملها بعد انتقالنا
إلى محافظة ميسان واقترحت أن تأخذ وضعي كحالة دراسية
لمشروعهم، فضحكت وقالت بأن حالتي ممتازة ويكفي إني بجانبك،
قلت في قرارة نفسي هذا صحيح ولولا وجودها في حياتي الله يعلم
ما هو مصيري.

حملت الأنباء عن دخول القوات العراقية إلى الكويت في شهر
آب من عام 1990. وبدأ النزوح الجماعي من الكويت باتجاه
الأردن وكثيرون جداً منهم لا يحملون جوازات سفر بحجة أن
جوازاتهم بحوزة وكلائهم ولم يستطيعوا الحصول عليها. نعم، هذه
فرصتي وأنا مثلهم لا أحمل جوازاً، وبعد ثلاثة أيام وصلت

وزوجتي مدينة الزرقاء، واستخرجت جوازاً بدل فاقد، ووثقت
زواجي في المحكمة الشرعية.

بدأت أصوات المدافع تطغى على أصوات السلام وأن الحرب
قادمة لا محالة لاسترجاع الكويت وتحريرها. وأنا لا أجد عملاً
فقررت وزوجتي العودة إلى أمريكا بعد ثلاثة أشهر من وصولنا
وكان اتجاهنا سان دييغو كاليفورنيا.

ثالثاً

عملت بتجارة السيارات المستعملة وبدأت تجارتي تزدهر واستأجرت قاعة بجانب منزلي لتكون مسجداً وقمت بنفسي على خدمته والإشراف عليه، وكثيراً ما كان يؤمه المصلون أو الخطباء للتعريف بأمر الدين.

وفي يوم، كانت الساعة تقارب الرابعة بعد الظهر عندما كنت أسوق سيارتي على الطريق السريع باتجاه سانتا مونيكا، وفجأة ظهرت سيارة وبدأت بإشعال الأضواء المختلفة وإطلاق الأصوات المميزة للسيارات التابعة لمكتب التحقيق الفيدرالي، وأمرني من فيها بالتوقف والتنحي نحو اليمين. رأيت شخصين في السيارة حيث ترجل الذي بجانب السائق وتقدم نحوي ببطء وحذر ويده قريبة من وسطه وطلب مني البقاء في مكاني. كانت ملامحه تدل على أنه من أمريكا اللاتينية، ودنا بحذر أكثر وبكل لطف سألني:

- لو سمحت أريد أن أرى رخصة القيادة ورخصة السيارة.
- تفضل يا سيدي هذه أوراقي وهي سليمة.
- نظر إليها بتمعن وأجاب بأنها سليمة ... هل تحمل إذن إقامة؟
- إنني مقيم هنا منذ أربع سنوات يا سيدي
- سؤال محدد هل تحمل إذن إقامة؟

- لا ... ولكنني متزوج من فتاة أمريكية وأنا أتابع إجراءات الحصول على إذن الإقامة حسب القوانين.
- إذا ليس معك إذن إقامة.
- نعم لا أحمل إذن إقامة.
- أرجو أن تترجل من السيارة وأن تضع يديك فوق رأسك، وأرجو أن لا تقوم بأي حركة حتى لا اضطر إلى استخدام السلاح، لا أرغب بإيذائك، فقط نفذ ما أملكه عليك.
- كم قرأت وسمعت وشاهدت هذا المشهد والآن أعيشه وأحس به. وبعد التأكد من عدم حملي سلاحاً قال لي: يجب أن اصطحبك إلى مكتبنا في سانتا مونيكا.
- وما هي التهمة الموجهة لي؟
- لا توجد تهمة محددة، فقط إجراء روتيني في مثل هذه الحالات عند القبض على المهاجرين غير الشرعيين، وبالمناسبة لا تهتم بسيارتك نحن سنوصلها إلى بيتك. وانطلقت السيارة بنا إلى مكتب التحقيقات الفيدرالي، وعند مدخل المكتب استقبلنا أحد الأشخاص الذي قادني إلى الداخل لأجد نفسي في مكتب فسيح نوعاً ما وملصقة على جدرانه صور كثيرة لأشخاص يبدو أنهم مطلوبون لسبب أو لآخر. نظر المحقق إلى رخصة قيادتي وقال بأنه يرغب بشرب القهوة وسألني إن كنت أرغب بشربها معه.

- لا بأس بذلك.
- كيف تشرب قهوتك؟
- كما هي ... بدون حليب وبدون سكر.
- وذهب ليعند بعد قليل ومعه فنجانان من القهوة.
- تفضل يا سيد ناصر.
- أشكرك على لطفك.
- لا شيء يستحق الشكر... وبالمناسبة يعجبني قميصك الذي ترتديه.
- إنه قميص عادي وثمانه لا يتجاوز خمسة دولارات... ولا أعرف ما سر إعجابك بقميصي؟
- يعجبني ما هو مكتوب عليه "إنها الحرب يا رجل".
- ووضعت فنجان القهوة على المنضدة لترتفع عيناى نحوه وتنطبق شفطاي بعفوية أجل "إنها الحرب يا رجل".
- إنك لا تحمل إذن إقامة يا سيد ناصر وكما تعلم فإن هذا مخالف للقوانين المحلية والفيدرالية.
- أعلم ذلك وأنا أتابع الحصول عليها كوني متزوجاً من فتاة أمريكية.
- سيتم ترحيلك الليلة إلى مدينة نيوروك.
- وهل عدم حصولي على إذن الإقامة سبب كاف لترحيلي إلى نيويورك.

لا ليس بالضبط فإنت متهم بالإرهاب، ومكتبنا غير متخصص بالنظر بتهم الإرهاب لهذا السبب قررت ترحيلك إلى نيويورك كون جميع المختصين بمكافحة الإرهاب وعلم الجريمة موجودين هناك. وارتشف قهوته ليخبرني بالسماح لي الاتصال بزوجتي لأخبرها بقرار ترحيلي، ومن حقي تعيين محامٍ وإن لم أستطع يعين لي محام.

واتصلت بزوجتي لتقول لي بأن أشخاصاً من مكتب التحقيقات الفدرالي موجودون في المنزل ويعبثون بكل محتوياته ويضعون كل ما يخصك في أكياس بيضاء اللون مكتوب عليها "سري". فقلت لها: لا تقلقي، وأخبرتها بما حدث وجاء صوتها دافئاً متماسكة الأعصاب لتقول لي: لا تقلق يا ناصر أنا معك.

تم وضعي في طائرة خاصة يوجد بها ثمانية مقاعد حيث جلس اثنان من الحرس في مقدمة الطائرة واثنان في الخلف ولم نتبادل أي كلمة خلال الرحلة التي استغرقت ثماني ساعات. ولم أشعر بأي رغبة في الطعام ولم أتناول إلا كوب ماء. هبطت الطائرة في مطار صغير وتم نقلي إلى مكتب يقع في الدور الثامن عشر في مبنى على الضفة الشرقية من نهر هاديسون، حيث حضر شخصان أحدهما في بداية الخمسينات من عمره يميل إلى السمنة ويبلغ طوله حوالي 160سم، ويحرص على هندامه بشكل جيد ومن الواضح أنه من سكان نيويورك الأصليين والمسمين "الرقبة الحمراء".

والشخص الآخر في نهاية العشرينات من عمره أنيق الهمام ويبدو أنه يمارس رياضة الملاكمة، ملامحه توحى بالقسوة والغلظة ولا يبدو الود في طبعه ويبدو بأنه مهاجر من بورتوريكو.

- صباح الخير يا سيد ناصر.

- صباح الخير.

- نحن من مكتب التحقيقات الفيدرالي ومهمتنا واضحة ومحددة بالتحقيق معك بشأن ضلوعك بالإرهاب.

- أشكرك يا سيد وين.

- يا إلهي كيف عرفت اسمي وأنا لم أذكره لك يا سيد ناصر، إن هذا مدهش حقاً، كيف تعرف اسمي دون أية مقدمات؟

- لقد تم ذكر اسمك "هانك وين" واسم رفيقك "داني ارميريو" في كتاب "خمس دقائق تحت الانقراض" حيث قمتم بالتحقيق مع الذين تم القبض عليهم بتهمة تفجير المركز العالمي للتجارة، وكذلك تم وصف شخصياتكم وأسلوبكم في إجراء التحقيق.

- ولكن لم يمض سوى أسبوع واحد على صدور الكتاب، وبما أنك تعرف الكثير عنا فربما يسهل هذا مهمتنا بالتحقيق معك. واعتقد أننا أمام شخص أما بالغ الخطورة أو بالغ الذكاء وفي الحالتين يجب التصرف معك بكل حذر. يجب أن أدون على ملفك "حالة فريدة"، وأود أن تعلم يا سيد ناصر بأن زوجتك اتصلت بنا لتخبرنا بأنها لا تستطيع تعيين محام لك، وتم تعيين

محام من قبل مكتبنا كما تنص اللوائح وسيحضر بعد ساعة لا
تركك معه وأعود إليك غداً صباحاً.

وفي الوقت المحدد حضر المحامي حيث بادرني الحديث بأن
اسمه "سامي هونمان" وهو متخصص بقضايا الإرهاب المشابهة
لقضيتي على حد قوله.

- ولكن يا سيد هونمان أنا لم أقم بأي عمل إرهابي.
- ولكن هناك قضية ضدك ومذكرة اعتقال بحقك.
- هراء فلا يوجد شيء فأنا برئ من كل تهمة الإرهاب.
- يا سيد ناصر الجميع يقولون ما تقوله وأرجوك ساعدني حتى
أساعدك.
- وكيف لمحام يهودي مثلك أن يساعدني.
- أنا أقوم بواجبي ولا أنظر إليك كشخص مسلم بل كشخص متهم
بالإرهاب وأحاول مساعدتك.
- أشكر لك لطفك ولكن أكرر قولي بأنني برئ ولم أرتكب أي
جريمة ولم أقم بأي عمل إرهابي.
- هذا ما تقوله أنت، ولكن الأمر غير ذلك ومغاير جداً لما تحس
أو تشعر به.
- صدقاً يا سيد هونمان لا يوجد ما أقوله لك ولا أعرف كيف
أساعدك.

- حسناً سأتي غداً بعد الظهر بعد أن يفرغ السيد وين من التحقيق معك، وبالمناسبة يا سيد ناصر جميع العرب في نيويورك يفضلون العمل عند اليهود والغريب كذلك بأن اليهود يعطون الأولوية في العمل للعرب.

جاء الحارس واقتادني إلى الزنزانة، أو ما يسمونها "خلية" طولها متران ونصف وعرضها متر واحد ويوجد بداخلها مغسلة وحمّام، مطلية بالطلاء الأزرق ويوجد في الجزء العلوي للباب نافذة صغيرة من الزجاج المضاد للرصاص وفي أسفل الباب فتحة بطول ثلاثين سنتمتراً وعرض خمسة سنتمترات محفورة على زاوية 45 درجة، ونظام التهوية يعتمد على فتحة في السقف ويبلغ ارتفاعه ثلاثة أمتار. لم أنزعج من الخلية بتاتاً رغم أن السرير عرضه نصف متر ولم تبق لي مساحة للتحرك أو للصلاة. جلست القرفصاء على السرير لساعات وبين الحين والآخر يأتي الحارس وينظر ناحيتي ليتأكد من وجودي داخلها. ربما تسمية "خلية" أفضل من تسمية "زنزانة" المتعارف عليها في بلادي. الخلية هي أصغر واحدة حياة ومنها يتم التكاثر والانقسام وإعادة الدمج عند كل كائن حي، فهي مركز انطلاق دورة الحياة. نظرت من خلال النافذة لأرى بأنه تم تبديل الحارس بواحد آخر طويل القامة ضخم الجثة وذو شوارب كثيفة، نظر ناحيتي شزراً نظرة عدم ارتياح فعدت إلى السرير وجلست القرفصاء لأرى صورة "أبو السبع" في

عينيه. كنت أجلس القرفصاء وأنا صغير لساعات أنكب على عمل أكياس صغيرة من أوراق أكياس الاسمنت لأبيعها إلى البقالات لأساعد نفسي وأسرتي. يوقظني أبي مع صلاة الفجر انطلق بعدها إلى ورشات البناء المختلفة والقريبة من الحي لجمع الأكياس قبل أن يجمعها الآخرون وقبل أن أذهب إلى المدرسة. كان أبو السبع مسؤولاً عن عدة ورش لسبب ما كان يأمر العمال بضرب أكياس الاسمنت من النصف وتفريغ محتواها وهي على الأرض، كان يرمقني بنظرات عدم الرضا والارتياح لم يكلمني ولم ينهرني أبداً، ولم أجرؤ على الاقتراب منه.

وبدأت أشعر بالتعب من جلوسي القرفصاء فاستلقيت على بطني محركاً قدمي إلى الأعلى بزاوية 90 درجة ثم خفضهما إلى الأسفل، فقد كنت في أيام الجمع أذهب إلى منطقة الكسارات التي تبعد حوالي ستة كيلومترات عن الحي، كنت ورفاقي نذهب للتسلية واغتنم هذه الفرصة لالتقاط أكياس الورق المبعثرة في المحاجر واعتبرها غنيمة لأن حجمها أكبر وانظف من أكياس ورق الاسمنت فكان تصنيفها عندي نخباً أول وثمانها مرتفعاً نوعاً ما. كنت أنتظر إلى ما بعد العصر مستلقياً على بطني أنتظر صيحة الحارس وهو يجول في المنطقة ويعلن بصوته الجهوري "بارود" لأضع أصبعي في أذني لأشاهد غبار تفجير الصخور ليتحول فيما بعد إلى رمال ناعمة. ربما جنرالات الجيش الأمريكي كانوا مثلي

في الصغر يراقبون انفجار الصخور في المحاجر وعندما كبروا
اسموا عملياتهم "الرمال الناعمة". كنت أراقب ذلك المشهد وأذهب
بعد ذلك إلى المخزن مستغلاً انشغال الحارس بالتجوال حول
المنطقة ليتأكد من عدم دخول أي شخص في منطقة الخطر،
وأتناول حفنة من البارود لأعود به إلى رفاقي لنخيف به عجز
الحي أم سعيد التي كانت دائماً تمنعنا من اللعب في الساحة الواقعة
أمام منزلها والويل لنا إذا سقطت الكرة في منزلها، عندها تبدأ
بصب جام غضبها مبتدئة بوابل من الشتائم علينا وعلى أهالينا
الذين لم يحسنوا تربيتهنا والمدرسة التي لم تفلح بتصويب سلوكنا
ومنتهية بتشريح الكرة بالسكين ورميها في جوهنا من فوق
الحائط.

في اليوم التالي وفي الساعة التاسعة صباحاً حضر المحققان
وين وارميريو حيث تم اقتيادي إلى مكتب مجاور لخليتي حيث بدأ
المحقق وين باستجوابي.

- أخبرنا يا سيد ناصر عن علاقتك بالمجموعة الإرهابية التي
فجرت مركز التجارة العالمي في السادس والعشرين من شباط
1993.

- لا توجد لي أي علاقة.
- أرجو أن تكون متعاوناً معنا يا سيد ناصر، فأنت شخص ذكي
ولا داعي للمراوغة.

- إنني أقول لكم الحقيقة، لا علاقة لي بذلك وكل ما أعرفه هو ما قرأته في الصحف وشاهدته في نشر الأخبار عن الحدث.
- وماذا قرأت وشاهدت؟
- هذا كله مدون في كتاب "خمس دقائق تحت الأنقاض" ويتحدث فيه عن الانفجار والضحايا وما خلفه من دمار.
- باعتقادك ما هي المادة المتفجرة التي استعملت؟
- لا أعرف.
- ما هي علاقتك بالشيخ عبد الرحمن؟
- لا توجد أي علاقة، ولم التق به أبداً.
- هل طبيعة عملك تحتم الالتقاء به أو بمساعديه؟
- أبداً، فأنا أعمل في تجارة السيارات المستعملة، ولا توجد لي أي صلة تجارية بهم.
- حسناً، ربما لم تكن لك أي صلة تجارية ولكن لك صلات أخرى معهم، مثلاً صلة دينية أو صلة إرهابية أو صلة تجنيد أعضاء في منظماتكم.
- لقد قلت لك سابقاً بأنه لا توجد لي أي صلة بهم ولا أنتمي إلى أي منظمة.
- يا سيد ناصر، ما هي علاقتك بمسجد حي أوكلاند في سانت ديبغو؟

- كل ما أقوم به عمل تطوعي من تنظيف للمسجد، ودفع الإيجار وإرشاد وتعريف بالدين الإسلامي.
- هل يساعدك أحد في ذلك؟
- في بعض الأحيان يساعدني بعض المصلين.
- ما هي أسماؤهم؟
- لا أعرفهم لهم أسماء، المصلون يأتون ويذهبون وقلما أكون متواجداً، فالمسجد مفتوح لكل مصلٍ يرغب في الصلاة.
- هل تعتقد بأن الإرهابيين استعملوا مادة (ت. ن. ت) في تفجير المركز؟
- قلت لك سابقاً لا أعلم.
- لا تحاول الخداع يا سيد ناصر فنحن نعرف عنك كل شيء، فهذا ملفك الأخضر أثناء خدمتك في الأردن، وهذا الأصفر أثناء مكوثك في العراق وهذا البرتقالي أثناء وجودك هنا في أمريكا.
- حسناً ومتى سيتم فتح الملف الأحمر؟
- لسنا هنا في معرض سخرية، هناك أسئلة محددة وأجب عنها بأجوبة محددة.
- ما دمت تملك كل هذه الملفات عني فأخبرني أنت عن نفسي؟
- يبدو بأنك من النوع الصعب والعنيد، إني بحاجة إلى استراحة لأدخن سيجاراً وأعود إليك.

وفي هذه الأثناء دخل المحامي السيد هونمان وأخبرني بأن زوجتي هنا في نيويورك ولم يستطع أن يحصل لها على إذن لزيارتي واعداً بأنه سيحاول مجدداً. واقترب مني أكثر وبدأ يتكلم بهمس. يا سيد ناصر يجب أن تقنع نفسك بأن هناك قضية مسجلة ضدك وهي تمس الأمن القومي، الأمر أكبر من قضية محلية على مستوى ولاية كاليفورنيا وأكبر من كونها فيدرالية. إنها تمس الأمن القومي الأمريكي، ولن يدعوك وشأنك.

وصمت برهة وفجأة قفزت أمامي وجه العقيد منصور وقضية سائق الجرافة وكيف أصبحت مسألته قضية، يبدو أينما نذهب في هذا الكون هناك قواسم مشتركة عظمى. واستدرت إلى السيد هونمان وطلبت منه أن يستأذن لي لأصلي هنا لأن خليتي صغيرة ولا أستطيع الركوع والسجود بحرية. وعاد بعد برهة قصيرة وقال لي لا يوجد ما يمنع. وأثناء الركوع والسجود شعرت بألم شديد بباطن ساقى اليمنى وحين انتهيت من الصلاة بدأ الألم يزداد ولم أستطع الوقوف. ودنا مني السيد هونمان وأخبرته بالألم واقترح نقلني إلى المستشفى أو إحضار طبيب إلى هنا. وقلت له لا داعي فهذا الألم يعاودني بين الفينة والأخرى وهو ناتج عن التهاب حاد في الأوتار العضلية لباطن ساقى وقليل من المسكنات ينهي الألم. اسمع يا سيد ناصر سأطلب من المحقق أن يؤجل تحقيقه معك إلى

بعد معاينتك وسوف نستفيد من هذا الوقت لأفكر أنا بالذات كيف أخرجك من هذه القضية.

وبعد حوالي الساعة جاء طبيب من قبل مكتب التحقيقات وقام بمعاينتي بدءاً من الفحوص التقليدية لمعرفة النبض والضغط وسماع الشهيق والزفير ومن ثم استل مطرقته المطاطية وقام بالضرب على ركبتي اليمنى ليخبرني بأن ردة الفعل اللاإرادي ضعيفة وأقل من المستوى العادي. وهذا ناتج عن التهاب حاد ومزمن في الأوتار العضلية نتيجة لإصابتك ربما برصاصة أو ما شابه ذلك. فقتل له ليس هكذا يا دكتور أذكر عندما كنت في الرابعة عشرة من عمري وأثناء مباراة البطولة بكرة القدم بين حيناً وحي النزهة المجاور، الخصم التقليدي لنا، انقضت على الكرة لمنعها من دخول المرمى ولم استيقظ إلا وأنا في المستشفى ليخبرني الطبيب بأن مسماراً كبير الحجم، من مخلفات ورش البناء، وجد طريقه إلى باطن ساقى. يبدو بأن هذا مقنع ولكن أخشى أن يؤدي إلى ضمور في الأوتار العضلية وحتى نتلافى ذلك يجب نقلك إلى المستشفى، سأدون هذا في تقريرى.



اتصل المحقق وين بالبروفسور ايفانوفيسكي الذي يدير مركزاً للأبحاث ممولة من وكالة الفضاء الأمريكية ووكالة المخابرات المركزية ويقع في رود ايلاند وطلب منه أن يوافيه في الغد التاسعة

صباحاً في مستشفى هاديسون التابع لوكالة الفضاء الأمريكية ولأمر يتعلق بالتطبيقات العملية لأبحاثه. والبروفيسور ايفانوفسكي من العلماء البولنديين الذين هاجروا إلى أمريكا ويدير مشروعاً عن تأثير الإشعاعات الكونية على خلايا الجسم وتأثيرها القصير المدى والطويل على جسم الإنسان. وقد أحرزت تقدماً على الصعيد النظري ولم يتم اختبارها عملياً.

وفي اليوم التالي حضر البروفيسور ايفانوفسكي وفريقه وحضر المحقق وين ومعه بعض مساعديه، وبادر بسؤال البروفيسور إلى أين وصلت أبحاثه في هذا المجال.

- من الناحية النظرية جميع الفرضيات قابلة للتطبيق وتم إجراء بعض التجارب على الحيوانات المخبرية مثل الخنازير الغينية والكلاب وأعطت نتائج وصلت إلى مستوى 70%، ولكن ماذا تريدون معرفته بالضبط.

- هناك شخص متهم بالإرهاب وفي الحقيقة لم نجد أدلة تدينه. فقط لا يحمل إذن إقامة هنا وربما هذه التهمة الوحيدة التي من الممكن أن نوجهها له. والعقاب غرامة أو ترحيل إلى بلاده. وقد أخبرني الطبيب بأنه بحاجة إلى عملية جراحية في باطن ساقه اليمنى وأعتقد بأن هذه فرصتنا أتت إلينا. وبعد سماعي محاضرتك قبل شهرين خطر ببالي أن أتصل بك ونتحدث عن إمكانية تطبيق بعض أبحاثك.

- ولكن يا سيد وين هذا مخالف لأخلاقيات البحث العلمي بتطبيق مثل هذه الأبحاث على الإنسان مباشرة دون أن نعرف عواقب النتائج.
- إنني والمسؤولون نتفهم ذلك وقد أخذت الضوء الأخضر للمضي قدماً بهذا الأمر، وهدفنا خدمة أمتنا العظيمة والبشرية، ولا تنسى بأن لنا وحدنا الحق باستغلال نتائج البحوث العلمية الممولة من قبلنا، وكما ترى لا نطالب أكثر من حقنا. ولنسمع منك ماذا تود أن تفعل.
- اقترح زرع رقاقة من السيليكون مشبعة بعنصر الفسفور عند إجراء العملية له وهي لن تؤثر على أدائه ولن يشعر بها أبداً.
- وماذا يفيد ذلك؟ أرجو منك يا بروفيسور شرحاً وافياً لي ولزملائي عن ماذا سيتم عمله بالضبط.
- إن مادة السيليكون من المواد المعروفة بأشباه الموصلات وتحتوي على أربعة إلكترونات تكافؤ. يوضع عنصر الفسفور على رقاقة السيليكون، ويتم قذفه بأشعة الليزر الموجهة عن بعد حيث تخرج البوزيتونات من عنصر الفسفور بعد إبعاد مصدر الأشعة، والذي يمكن أن نتحكم به عن بعد، مما يؤدي إلى تكون مادة جديدة تكتسب نشاطاً إشعاعياً، وهذه المادة الجديدة هي الفوسفور المشع، والذي يتحول بعد مدة وجيزة إلى سيليسيوم مع خروج البوزيتونات. والسيليسيوم هي المادة

الثابتة والتي تتراكم تحت الجلد وستقوم ببث الإشعاعات على شكل أمواج كهرومغناطيسية إلى لواقط الأقمار الصناعية والتي بدورها ترسلها إلى مكاتبكم لرصد تحركاته وتحديد إحداثيات وجوده.

- مع أنني لم استوعب ما قلته ولكني أعتقد بأنه شيء رائع. هل ممكن لهذه المواد أن تسري في الدورة الدموية.
- بالتأكيد يا عزيزي، ولكن هناك فترة كمون لمادة الفسفور لا تحفز إلا بتسليط أشعة الليزر عليها لتتحول إلى مادة السيليسيوم كما أسفلت.

- ما المضاعفات المحتملة لما تحدثت عنه؟
- تشير أبحاثي على الحيوانات المخبرية بأن من المحتمل أن يتعرض الشخص إلى ارتفاع ضغط الدم الثانوي، وهذا بالعادة ناتج عن ردة فعل وجود الفسفور في الجسم، وأحياناً صداع. أخبرني المحام بأن العملية الجراحية تمت بنجاح وسأبقى لمدة أسبوع فترة نقاهة وخلال هذا الأسبوع سيحاول إخراجي بكفالة. كنت أشعر بصداع خفيف بين الحين والآخر وأخبرني الطبيب بأنه من تأثير العملية وسوف يزول سريعاً ولا داعي للقلق أبداً. بعد ستة أيام من إجراء العملية جاءني المحامي هونمان والابتسامة العريضة تملو محياه. لقد نجحنا يا سيد ناصر لا توجد أدلة تدينك بأنك إرهابي أو شاركت بعمل إرهابي، فقط تهمة الإقامة بصورة غير شرعية هنا في أمريكا وقرر مكتب التحقيقات الفيدرالي

ترحيلك إلى بلادك وهذه تذكرك هدية منهم، غداً سيصطحبك أحدهم إلى المطار للتأكد من سفرك وبالمناسبة لقد تم دفع تكاليف معالجتك من حساب المكتب، هذا إنجاز رائع وقلت لك من قبل سنريح القضية، واعتذر من عدم استطاعتي للحصول على تصريح لزوجتك للزيارة.



كانت أول مرة استقل طائرة قبل خمسة عشر عاماً عندما قدمت إلى هنا إلى أمريكا التي كنت اعتبرها ملاذ الأحرار ونصير المستضعفين، يبدو أنني كنت مثل غيري مبهوراً بالتقدم العلمي والاجتماعي والحضاري، لا أعرف يا أمريكا إن كانت قوتك مستمدة من قوة الحضارة ام من حضارة القوة؟ كنت أسأل نفسي لماذا اطلقوا سراحي بهذه البساطة وترحيلي إلى عمان وإهدائي تذكرة؟ ألم يكن هم الذين اغتالوا حلم لوثر كينغ عندما كان يخطب "أنا عندي حلم". أليسوا هم الذين جلبوا السود من أفريقيا وباعوهم في سوق النخاسة، ونقلوهم في سفينة أسموها المسيح؟ أليسوا هم الذين اغتالوا غيفارا وبوليفار و...؟ أليسوا هم الذين أبادوا الجنس البشري من الهنود الحمر وكانوا يهدونهم بطانيات ملوثة بجرثومة التيفوئيد لتقتلهم بسلام بسبب نقص مناعتهم! ما هذا السخاء يهدوني تذكرة باتجاه واحد وبلا عودة! كنت صغيراً مع بداية دخولي المدرسة وبالكاد استطيع تهجئة الحروف العربية لأقرأ على أكياس

الطحين "هدية من شعب الولايات المتحدة" ويدان متشابكتان
ببعضهما مزركشتان بلون علم أمريكا. ولا أعرف كيف وصلت
الفكرة إلى الأمهات لتفصيل لباس داخلي للزوج والأولاد من قماش
هذه الأكياس، ولا أعرف لماذا يأبى ختم اليدين المزركشتين إلا أن
يكون على القفا، ولا يكون على منطقة العفة!! تباً لك يا أمريكا.

رابعاً

هبطت الطائرة في مطار عمان في السادسة والنصف من مساء السادس عشر من آذار عام 1995، ولم يكن في انتظاري أي شخص على غير العادة ومن أين لأهلي أن يعلموا أنه تم ترحيلي إلى هنا فجأة!.

عدت للبحث عن عمل وكان عقارب ساعة الزمن لم تتحرك منذ استقالتني من عملي قبل عشر سنوات تقريباً. فحاولت مراراً البحث عن عمل ولم أفجح بالحصول على شيء فالكمل يسألني عن الخبرة وأين كنت أعمل في السابق وعندما يعرفون حقيقة الأمر يعتذرون. أصدقائي المقربون تحاشوا المجيء للسلام أو للاتصال الهاتفي وسمعت بأنهم وصلوا إلى مناصب مرموقة ولا يريدون أن يكون لهم صلة مع مشبوه مثلي ربما يؤدي بهم المطاف إلى الاستغناء عن خدماتهم وينتهون إلى مثل مصيري أو ربما هكذا خيل لي.

أصيب والدي بمرض التدرن الرئوي الحاد وسببه كما أخبرني الطبيب ناتج عن طبيعة عمله في شركة الدباغة من خلال تعرضه لاستنشاق العوادم عند معالجة الجلود على مدار خمسة وعشرين عاماً. فلازمته في الفراش وقلماً أخرج إلا للصلاة في المسجد المجاور لبيتنا. هذه المرة الوحيدة التي أشعر بأني قريب من والدي فطوال هذه السنين لم يكن بيننا غير أوامر أب وتنفيذها من قبل

الابن، ربما هذه الصرامة في التربية هو المفهوم الشائع حتى يصبح الفرد منا رجل شدائد عندما يكبر، لا أذكر بأني مررت بمرحلة الطفولة أو حتى بمرحلة المراهقة، فجأة وجدت نفسي كبيراً أتناحر في خضم الحياة بعد ثلاثة أشهر توفي والدي وكان نصيبي من الإرث خمسة آلاف دينار، فقررت أن أشتري أغناماً وأتاجر بها وأبتعد عن المدينة، أريد عملاً حراً لا أريد أن أشعر برئيس ومروؤوس، أريد أن أشعر بأني سيد نفسي. ورعي الأغنام ربما يهذب النفس فكل الأنبياء رعوا الأغنام، وأنا لست بأفضل منهم. ذهبت إلى المكتبة لأشتري كتباً عن الأغنام ورعيها ولكني لم أجد مثل هذه الكتب وقال صاحب المكتبة بأنه لا توجد كتب في هذا المجال وهناك كتب عن تربية الكلاب والقطط وكيفية الاعتناء بها ومعالجة الأمراض التي تصيبها وهي كتب مستوردة من الغرب. لا بأس سوف أستعين بأحد الرعاة وأعينه راعياً عندي لاكتسب خبرة منه.

أرسل المحقق وين إلى رئيس مكتب التحقيقات الفدرالي تقريراً سرياً ومفصلاً عما جرى في غرفة العمليات وعن زرع رقاقة السيليكون في ساق ناصر ويجب أن يؤخذ الأمر على محمل الجد. وبعد أسبوع طلب رئيس وكالة الاستخبارات الأمريكية اجتماعاً عاجلاً وسرياً ضم رئيس أعمال السلاح الفضائي ونائب وزير

الدفاع ورئيس أعمال وكالة التصوير الفضائية لمناقشة تقرير المحقق وين. قال رئيس وكالة الاستخبارات بأنه يجب إحياء عمل المجموعة الخاصة والمنوطة بالأعمال بالغة السرية والتي أطلق عليها عملية "النمس" وقال بلهجة الأمر: يجب التنسيق بين هذه الوكالات جميعاً وأن يكون عملها متحداً والعمل كفريق واحد وسيكون السيد ايدي هارفي مسؤولاً عن عملية "النمس" ويجب استخدام السيد ناصر لإنجاح التجربة ولنطلق عليه اسم "نمس واحد" وفي حال نجاح هذه التجربة سيتم تعميمها بشكل أوسع، ويجب أن لا ننسى بأننا نملك الفضاء كاملاً، أريد تقريراً أسبوعياً عن سير الأمور.

بدأ السيد ايدي هارفي بالعمل على تفعيل "عملية النمس" وطلب من رئيس أعمال السلاح القضائي بتسليط القمر الصناعي "مريخ 10" على "نمس واحد" وقذفه بأشعة الليزر، وفي الوقت نفسه أن تقوم وكالة التصوير الفضائية بتصويب كاميراتها نحو الهدف من القمر الصناعي "فضاء 7" وربطها جميعاً عبر الألياف الضوئية غير المرئية بجهاز الحاسوب في وكالة الاستخبارات.

بدأ العد التنازلي ثم أعطي أمر "اضرب" وبدأ كل شيء يعمل باتجاه "نمس واحد"، اتصالات بين جميع الأطراف

- ضبط أشعة الليزر وعدم قذف كميات كبيرة.

- ضبط صورة الكاميرات.

- ضبط الإحداثيات.
- ظهور صورة "نمس واحد" على شاشة الكمبيوتر.
- تكبيرها على شاشة خمسين انشا أمام رئيس وكالة الاستخبارات.
- "نمس واحد" جالس بجانب سرير والده.
- إعادة ضبط كل ما سبق.
- تركيز أكثر وانتباه أكثر.
- تشغيل كاميرات أخرى لإخراج صورة ثلاثية الأبعاد.
- الصوت غير واضح.
- تشغيل مكبر الصوت.
- عدم زيادة تركيز السيليسيوم في الدم.
- تخزين كل ما سبق.
- مرة أخرى إعادة تشغيل وضبط كل ما سبق.
- نظام الصوت لا يعمل.
- لا يهم الصوت في هذه المرحلة سنعمل على تطويره فيما بعد.
- إعادة كل ما سبق للمرة الأخيرة.
- ابدأ العد التنازلي.
- الجميع في أماكنكم.
- تشغيل وبث وربط.
- رائع لقد نجحنا.

تصفيق حاد من الجميع ورسم شارة النصر بالسبابة والوسطى. لقد نجحنا، لقد نجحت أمريكا، نجحت التجربة تهانينا للجميع ولتوزع الشمبانيا على جميع العاملين في "عملية النمس".



اشتريت أربعين رأساً من الأغنام ونصبت بيت الشعر الصهوة في منطقة قريبة من الرويشد وبعد يومين حضر شخص وقال لي بأن شيخ العشيرة عمير الشعلان يدعوك إلى العشاء ولا مجال لرفض دعوته، وهذه عادة متوارثة عند العشائر الاحتفال بالنزول الجديد في منطقة الشيخ وفي المساء ذهبت ملبياً الدعوة حيث استقباني الشيخ وعرفني بنفسه وبالحاضرين من أبناء العشيرة وتجادبنا أطراف الحديث عن الأغنام والرعي وبدا له واضحاً بأنه لا يوجد عندي خبرة كافية في هذا المجال واقترح أن يقوم أحد رعيانه بالعناية بأغنامي فوافقت على هذا الاقتراح. وطلب من الراعي متروك أن يكون معي.

بدأت التردد على مجلس الشيخ عمير وكان الحديث يبدأ عادة عن أحوال العشيرة ثم الوطن والأوضاع العامة بشكل عام وتنتهي السهرة عن سرد الروايات البدوية والتي تنم عن الشهامة والفروسية والكرم والجسارة التي يشتهر بها البدوي، يصاحبها عازف الربابة الذي يشد الساهرين بعزفه العذب وصوته الشدي. وكيف أن الحضارة أفسدت هذه العادات، وقصة أخو وطفة من

القصص الجميلة والمحبية إلى نفس الشيخ وتقول القصة بأن أبا
وظفة كان راعي ابل ورحلت عشيرته إلى مكان آخر طلباً للعشب
وبقي مع الأغنام ليلتحق بهم فيما بعد، ويروى بأن جاره له ابنة
وحيدة تدعى البندري وترعى الأغنام لأهلها وطلب منه أن ترافقه
في الطريق وأنها أمانة في عنقه، فوافق أخو وظفة على ذلك وفي
الطريق أغواه الشيطان فثارت غريزته الحيوانية، فدنا منها ليهم بها
وللحظة تراجع خطوة إلى الوراء ليدنو ثانية، تناول عقاله من على
رأسه وثنى ركبته اليمنى وعلقها وطلب من الفتاة أن تركض أمامه
بأقصى سرعة، فعلت ذلك وبدأ يركض وراءها على قدم واحدة
حتى تعب وانسحبت شهوته، وناداهما بأن تقف ففعلت واستمروا
على هذا الموال حتى وصلوا مضاربهم وسلم الأمانة. ويتحسر
الشيخ عمير على شباب اليوم وكيف فسدت أخلاقهم وأين هم من
أخي وظفة!!.

عاجل وسري للغاية من رئيس عملية "النمس" إلى جميع
عناصرنا في المنطقة: بدأ "نمس واحد" بالنشاط، مراقبة كثيفة
وتغذية راجعة بالسرعة القصوى.

في أحد الأيام جاءت سيارة عسكرية من حرس البادية وقال لي
بأن قائد وحدة البادية يريد أن يراك، فذهبت في اليوم التالي إلى
القائد الذي أخبرني بأن عنده معلومات كافية عني وأن رعي

الأغنام ما هو إلا تمويه وغطاء وأن بحوزتي مخططات غير معلنة ونحن نتابع تحركاتك أولاً بأول. شرحت له بأنه لا يوجد شيء مما يقوله وأناي أرغب بكسب عيشي بتربية الأغنام والابتعاد عن المدينة.

- يا سيد ناصر هذا تمويه واضح، لدينا معلومات بأنك تقوم بتجنيد أشخاص لصالح جماعات غير مشروعة، وإنك اخترت منطقة الرويشد حتى يسهل عملك وتحركاتك عبر المناطق الحدودية، فقط أقول لك بأنك تحت المراقبة.

- خرجت من عنده وأنا أشعر بصداق، ربما ناتج عن الإرهاق وقلة التغذية. وفي المساء حضر الشيخ عمير وقال بأنه سمع باستدعائي ويرغب بأن يعلم ماذا جرى وما حقيقة الأمر. فأخبرته بما دار بيننا من حديث وقال بأنه يثق بكلامي ولا داعي للقلق أو الخوف، وأن المنطقة هذه يرودها أشخاص كثير ولا يعرف لهم هوية.

سارت أموري بشكل جيد وشعرت بنشوة برؤية المواليد الجدد من صغار البهم ومتروك يعتني بها، وانتقلت بعد عامين تقريباً في بداية الربيع إلى منطقة الشومري حيث نصبت بيت الشعر في دمنة قريبة من أحد غدران الماء المنتشرة هناك، وفي منتصف شهر نيسان وبعد صلاة العشاء بدأت السماء ترمي البرد ثم تبعه أمطار غزيرة فهرعت الأغنام إلى داخل البيت لتحتمي به من غزارة

المطر "وفتحت السماء لغيثها المدار باباً بعد باب"، فبدأ منسوب المياه يعلو شيئاً فشيئاً ولم أحفر سواقي حول بيت الشعر، والأغنام تتدافع بعضها نحو بعض وبدا الثغاء يرتفع والمطر يزداد غزارة وبدأت أشعر بأن أوتاد البيت بدأت تتخلخل والمياه يزداد منسوبها وبدأت بسحب الخراف الصغار ويختلط ثغاء صغار الغنم مع كبارها ويعلو أكثر ولا من مغيث، وصوت الرعد يزلزل الأرض من تحتنا وكأنه خارج من باطن الأرض ليلمع البرق باتجاه الشرق. تمسكت بواسطة البيت الأول وأنا أتأرجح معه لأسقط أرضاً وتحاملت على نفسي وذهبت إلى الواسط الثاني لأجد متروكاً متمسكاً به، وبدأ الثغاء ينخفض، تمسكت وملتزم بالواسط وتأرجحنا سوياً لنسقط أرضاً وبيت الشعر فوقنا والتمس طريقي من خلال الرواق للأخراج منه، وانقشعت السماء وجلست محققاً إليها تارة وإلى متروك تارة أخرى بعد أن جرف سيل الماء كل أغنامي.



عدت للتسكع في شوارع مدينة الزرقاء المتعبة المزدحمة بالمارة والمتسولين الذين يقتربون منهم ويبدوون سيلاً من الدعاء لانتظار ما تجود به نفوسهم. ذهبت إلى مكتب البريد علني أجد شيئاً ما في صندوق البريد، لم أجد إلا فواتير الهاتف ويطالبون بقيمة خمسة وعشرين ديناراً وإلا مصيره الفصل واستغرب لماذا لم يتم فصله أصلاً، بدأت بمراجعة أرقام الهواتف الموجودة وتوقفت عند

رقم هاتف خير الدين الشيشاني وقررت أن اتصل به لأرى ما هي أحواله فنحن معرفة من أيام الدراسة الثانوية، وقد أخبرني عندما جاء إلى بيت عزاء والدي أنه متقاعد ويعمل بالأعمال الحرة، اتصلت به واتفقنا أن نلتقي في المساء في بيته. ذهبت إلى بيته وأخبرته عن أحوالي وما حصل معي بتجارة الأغنام. وأخبرني بأن له زيارة بعد أسبوعين إلى جمهورية الشيشان وإذا كنت أرغب بأن أرافقه، فأجبتة بنعم ولكني لا أملك مالاً. لا يهم سأندبر أمر التذكرة والمصاريف، فقد أحضر جواز سفرك.

وفي اليوم المحدد أقلعت طائرة شركة ايرفلوت بنا متجهة إلى موسكو، وعند وصولنا مطار موسكو كان في استقبالنا على باب الطائرة أربعة أشخاص، طويلي القامة وذوي بنية قوية، طلبوا منا جوازات السفر وأن نتبعهم، وتم تمريرنا عبر خط القادمين للخطوط الداخلية دون تأخير، وذهبنا لالتقاط أمتعتنا حيث غادرنا عبر خط الجمارك دون عناء لنلحق طائرة ايرفلوت أخرى متجهة إلى غروزني. وفي الطائرة سألت خير الدين عما يدور حولنا. لا داعي للقلق فهو لاء الأشخاص هم أصدقاؤنا وبدون مساعدتهم ما كان بإمكاننا الخروج من المطار بسهولة، عملية تسهيل إجراءات لا أكثر. وعند هبوط الطائرة في غروزني تم نقلنا مباشرة من أرض المطار في عربات شبه عسكرية ذات الدفع الرباعي وسيارات حماية من الأمام ومن الخلف مزودة بالرشاشات حتى

وصلنا إلى ولاية فيدنو، وسلكنا طرقاتاً زراعية وسط الغابات، ومررنا على نقاط تفتيش عدة، حتى وصلنا إلى حي سكني أشبه بالثكنة العسكرية، وترجلنا من السيارة واتجهنا صوب مكتب القائد حيث كان في استقبالنا عند مدخل مكتبه وعانق خير الدين مطولاً وقال أقدم لك صديقي ناصر، سبق وأن تحدثت لك عنه، أهلاً بكم جميعاً، عبارة قالها والفرح الغامر يعلو وجهه، والتفت نحوي خير الدين ليخبرني بأنه أحد الثوار الشيشان واسمه داوود رحمانيف وهو قائد منطقة فيدنو.

وفي صباح اليوم التالي حضر إلينا رحمانيف ومعه أحد الأشخاص، فتح فخر الدين حقيبة الجلد التي يحملها ولا تفارقه وإذا هي مملوءة بالنقود وقال أن المبلغ هو ربع مليون دولار ويرغب بشراء زئبق أحمر والتفت رحمانيف إلى الشخص الذي معه وقال هذه هي النقود ونحن كما تعرف لا نتاجر بمثل هذه الأمور ولكن خدمة لصديقنا فخر الدين أحضرتك لتتم الصفقة معه. والتفت إلينا وقال بأنه ضابط سابق في الجيش الروسي واسمه ايفانوف وأنه يثق به وعادة ما يتم شراء السلاح للثوار عن طريقه. هز ايفانوف رأسه وقال بأن لديه كمية من عشرة غرامات ومحفوظة بوعاء من الرصاص وهي ليست بحوزته، ويحتفظ بها أشخاص يعملون مع "مافيا البحر لأسود" والمنتشرة في جميع جمهوريات الاتحاد

السوفيتي السابق ومقرها موسكو، وهم الذين ساعدوكم على تخطي
الحواجز في مطار موسكو.

- لنذهب إليهم قال فخر الدين.
- لكن يريدون مليون دولار ثمناً للعشرة غرامات.
- لا بأس، نشترى فقط بربع مليون رد فخر الدين.
- لا يمكن تجزئته، فالزئبق الأحمر خطر جداً، أما العبوة كاملة
أو لا، وهناك مشتررون قادمون من جنوب أفريقيا ومستعدون
لدفع المبلغ كاملاً ونقداً.

نظر فخر الدين إلى رحمانيف نظرة فهم معناها فرد عليه بأنهم
لا يتاجرون بهذه المواد ولا يستطيعون أن يؤمنوا له المبلغ، كما
أخبرتك لقد اتصلت مع ايفانوف ليلتقي بك وتتباحثا لإتمام الصفقة.
والتفت فخر الدين نحوي وقال ماذا ترى يا ناصر؟

أرى إنني كنت مسافراً مع شخص أخرق مثلك وتحمل ربع
مليون دولار ولم تخبرني عن ذلك! حتى لم تخبرني عن طبيعة
مهمتك السافلة! كنت أظن بأننا قادمون للالتحاق بثوار الشيشان
الذين طالما تحدثت عنهم وعن بطولاتهم، والآن أراك تتاجر
بالزئبق الأحمر ولا أعرف لصالح من تعمل أو حتى لماذا تريده؟!
إني أشعر بالغثيان والرغبة بأن أدق عنقك هنا.

- ماذا جرى لك يا ناصر؟ اهدأ ... هداً، أنا لم أخدعك فقط أحببت
أن أفاجئك.

- وبماذا تفاجئني بغير سخافاتك الحمقاء لتصبح من أثرياء الحروب وتشرب نخب انتصاراتك بجمام الشهداء.

- ماذا دهاك يا رجل؟! أنا لست كذلك، ولا يجوز لك بأن تتكلم هكذا أمام أصدقائي.

- نعم سوف أصمت، ولكن قررت بأن لا أعود معك، لا شيء هناك في الزرقاء يشدني إليها، سألتحق بالثوار واعتقد بأنني سأجد نفسي هنا.

خرجت من القاعة وشعرت بصداع وتعرق شديدين، ربما ناتج عن انفعالي في المشادة الكلامية. وجدت أحد الأشخاص عند المخرج وطلبت منه ماء، أحضر قارورة شربتها كلها. بعد ساعة استدعاني رحمانيف وسألني إن كنت جاداً بالبقاء والالتحاق بالثوار، فأجبتة بنعم، قال بأن فخر الدين أخبره عني بكل التفاصيل ونحن نرحب بانضمامك إلينا. حدثني عن التنظيمات العديدة المتواجدة في الشيشان عن كل تنظيم ومن هو قائده ومنهجيته وأيديولوجيته وفلسفته وأسلوب عمله وأنا استفسر عن كل ما هو غير مفهوم لدي.

وفي المساء اقترح أحد معاونيه ويدعى كريم الامازيغي أن أبيت عنده في منزله حتى أتدبر أمري ويستقر رأيي. ذهبنا سوياً وهناك أخبرني بدقائق الأمور عن كل ما دار في نقاشنا السابق،

وترك الأمر لي في أن اختار ما أريد. وفي اليوم التالي أخبرته
بأنني أرغب في الانضمام إلى مجموعة القائد شامل باسايف.

- ولماذا مجموعة شامل باسايف.

- بداية يعجبني اسمه، فأتوقع أن كل من يسمع باسمه يصاب
بقشعريرة وتعرق في كل جسده، وزيادة إفرازات مادة
الادرنالين". شامل باسايف "اسم يملأ أفواه الرجال، وهو حفيد
الإمام شامل عندما تصدى للنظام الشيوعي الروسي حين وجه
ستالين في عام 1944 تهمة التعاون مع النازيين إلى الشعب
الشيثاني وتم طردهم من بلادهم ومن جميع سهول آسيا
الوسطى، حتى عام 1957 حين سمح خروتشوف للمبعدين
بالعودة إلى ديارهم. وإذا انصهرنا مع مجموعته أصبحنا جزءاً
منهم، عداك يا سيد كريم بأن جل الثوار الحرار منتسبون إلى
مجموعته. ولم أكد أتم كلامي حتى احتضنني كريم وبارك لي
هذا الاختيار.

أخبرني كريم الامازيغي بأنه من منطقة القبائل في الجزائر
وجاء إلى أفغانستان من أجل الجهاد لدحر القوى الكافرة مهما كانت
منابعها أو أصولها من ديار الإسلام، ومن ثم انتقل هو ومجموعة
من رفاقه إلى أرض الشيشان ليتابعوا جهادهم.

طلب رحمانيف من كريم أن يقوم بتدريبي على مختلف
الأسلحة وتعريفي بجغرافية مناطق القتال، وبعد شهرين أصبحت

جاهزاً للمشاركة في القتال، وانضمت إلى مجموعة كريم، وفي هذه الأثناء طلب من مجموعتنا الذهاب للقتال في غرونزي بقيادة كريم حيث يملك صفات القيادة والجسارة والبأس قلما توجد في شخص آخر، كان يلقبونه بعنزة الأمازيغي.

بدأ كريم بالتخطيط لشن هجمات على قواعد العدو، والخطط تكون محكمة وسرية، ولكن يتم قصفهم في كل محاولة. وفي إحدى المرات قرر كريم أن يقوم بعملية دون تخطيط ودون إخبار أحد واستعمل أحد الصواريخ المضادة للدبابات في عملياته التي نجحت نجاحاً باهراً حيث تم تصويرها وعرضها علينا.

بدأت أقارن بين نجاح هذه العملية وفشل العمليات الأخرى، ونظرة عيون بعض الثوار اتجاهاً والتي لا تخلو من الشك بسبب وجودي معهم، ربما إحساس وحسب وربما شعور من الألم والمرارة بما عشته في حياتي وحظي العاثر، ونظم الثوار بعد ذلك عدة هجمات على العدو ولم أشارك فيها وجميعها نجحت.

كنا قد بدأنا بالاستعداد للمعركة الأخيرة، حيث قمنا بحفر الخنادق والتمترس خلف أكياس الرمال، استعداداً لصد هجوم القوات الروسية، وبدأنا بضرب القوات التي تقع تحتنا في سفوح الجبال ويأتينا الرد المضاد من راجمات الصواريخ. وفي المساء حضر القائد باسييف وأمرنا بالانسحاب لأسباب تكتيكية ولأن العدو الروسي يخطط لشن هجوم على مدار أيام أو معركة يديرها كما

يشاء، ونحن لا نستطيع أن نخطط إلا لمعركة تدوم ليوم واحد على الأكثر.

بدأنا الانسحاب من مدينة غرونزي متجهين إلى الجنوب إلى منطقة أرغون وهي سلسلة من الجبال الصخرية المكسوة بالأشجار ترتفع قممها إلى الأعلى كأنها أنياب كلاب ويخيل للشخص بأن كل ناب عبارة عن رجل لتجتمع في بعض الأماكن وتكون مجموعة من القمم لتثير الخوف عند من لا يعرف هذه المناطق. اجتمع بنا القائد باسييف ليخبرنا بشن معركة على وحدة الكوماندوز المتمركزة في السفوح القريبة وكانت الخطة أن تنقسم إلى مجموعتين مجموعة تأتي من شمال الوحدة وتبدأ بالمشاغلة والمجموعة الأخرى من الجنوب لتتنقض عليهم وسمينا هذه المعركة "الكف والمخرز" حسب الخطة المرسومة.

وعند ساعة الصفر غطى سماء المنطقة طائرات حربية وأمطرتنا بوابل من القنابل الثقيلة. بدأنا بالتراجع والتمترس خلف الصخور وكريم يركض بيننا ينادي بالتراجع وعدم الرد على الأعداء، وفي لحظة طار كريم عالياً من شدة الانفجار الذي حصل بقربه أسرع إلى أنقذه، حضنته لأحمله بعيداً لأحميه نظرت إليه وإذا عيناه شاخصتان، سألت دموعي حتى بللت وجهه الأسمر الجميل.

بدأ النوم يجافيني ولا أرى إلا كوابيس في منامي وعينا كريم
شاخصة إلى الأعلى إلى السماء، ربما أنا السبب في استشهاده
وربما طلباً للرحمة والشهادة. أنني أرى الأقصى يناديني، الأقصى
يصرخ مستجيراً، الأقصى كان على مرمى بصري ولم أشعر
بذلك، ولكن الآن أشعر به وسمع صراخه وأحس بآلامه يجب أن
أقاتل دفاعاً عن الأقصى. حزمت أمتعتي وودعت الجميع والدموع
تغسل وجهي. وصلت إلى موسكو وحصلت على تأشيرة للذهاب
لأداء العمرة.



عاجل وسري للغاية من رئيس عملية "النمس" إلى جميع
عناصرنا في الشرق الأوسط: أمريكا تتعرض إلى الغزو، أمريكا
تتعرض إلى هجوم. يقظة تامة على مدار 24 ساعة. يتجه "نمس
واحد" نحو مكة. مراقبة لصيقة وتغذية راجعة بالسرعة القصوى.
حطت بنا الطائرة في مطار جدة في حوالي الساعة الواحدة
ظهراً في الحادي عشر من أيلول عام 2001. واستقلت الحافلة
إلى مكة المكرمة وبدأت شعائر العمرة بالطواف حول الكعبة ثم
السعي بين الصفا والمروة.

- سيدي أن حواليه جموعاً غفيرة من الناس وكلهم يرتدون زياً
موحداً لا نعلم ماذا يقولون. - - أخبرتكم في السابق بأن نظام
الصوت لا يعمل.

- سيدي بدأ تركيز السيليسيوم بالارتفاع بشكل ملحوظ في الدم، من الممكن أن يؤدي إلى فرط في ارتفاع الضغط.
- قلت لكم بأن أمريكا تتعرض لهجوم. أريد مراقبة لصيقة وكثيفة، لا أريد احتمالات أو نظريات. "نفذ".



بدأ ناصر يشعر بصداع ودوار شديدين، بصعوبة وجهد أستطاع الهرولة، ويدعو: "يا رب العزة أعني على إكمال شعائر العمرة"، ومع نهاية الشوط السابع سقط أرضاً، وبعد صلاة المغرب مباشرة، صاح الإمام قائلاً للمصلين: "صلاة الجنازة على رجل".

النهاية